11me Année No. 525

Lundi - 26 - 7 - 1943

بدل الاشتراك عن سنة
ـــ
٨٠ في مصر والسودان
١٢٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٥٢٥ «القاهرة في يوم الإثنين ٢٣ رجب سنة ١٣٦٢ — الموافق ٢٦ يولية سنة ١٩٤٣» السنة الحادية عشرة

الفهـــرس

حكمة الصــــين

للأستاذ عباس محمود العقاد

في الحروب شر يتبعه أو يتخلله بعض الخير

فالشر المحض ليس له وجود، ولاسيما في الحوادث الكبيرة، ومن الخير الذي في الحروب أنها تعين على تعريف الأمم بعضها ببعض، وتعليم الناس ما لم يكونوا يعلمونه من شئون البلاد الأخرى. فلا تنتهي حرب بين أمتين أو أمم شتى إلا تركتها وهي أعرف بأحوالها ورجالها مما كانت قبل اشتعالها، ومصداق ذلك ظاهر في الحروب الأوربية القريبة، وفي كل حرب من الحروب الموزعة في جوانب الكرة الأرضية

ومنها حرب الصين واليابان

فالأوربيون كانوا يذكرون الصين في القرن الماضي فلا يذكرون بها غير الأفيون والخطر الأصفر، والحائط الأعظم الذي يحيط بها منذ قرون. وقد يذكرون الرسوم والنقوش والآنية وطرفا من الحكمة التي تنسب إلى كنفشيوس، فإذا بهم قد ذكروا عنها كل ما يعرفون، أو كل ما أرادوا أن يعرفوه!

أما اليوم فالصين بلاد مكشوفة يكتب عنها في لغات العالم كما يكتب عن البلاد الأوربية، ويقرأ الناس ما يكتبه أدباؤها وما يكتبه أدباء العالم عنها، ويحسب جهوز القراء في المسائل

الصينية بمئات الألوف بين جميع الأجناس والألوان

وأشهر أدباء الصين الذين عرفناهم بعد حربها الأخيرة هو لن يوتانج غير مدافع

وآخر ما قرأناه له مقال فى مجلة أمريكية عنوانه « ما بالك لست بفيلسوف ؟ » :

خلاصته أن الشرق والغرب يجب أن يلتقيا ، أو هما قد التقيا ، وأن التقاءهما ضروري لأن إدراك العقل لطبيعة الإنسان قد تغير ، كأنك قد عمدت إلى بناء فخطمت قواعده فهو لا يتماسك ولا يعاد تعميره ليسع العالم الجديد حتى يشترك فى بنائه كل من سيأوى إليه ، وهم الشرقيون والغربيون

قال ما فحواه : لما قرأت أن وندل ويلكى كان فى شنكنج يوم الجمعة وعاد إلى أمريكا يوم الإثنين ذعرت ! . . . أهى فسحة آخر الأسبوع بين قارتين ؟ إن الشرق والغرب إذن لتلتقيان

واستطرد قائلاً : إن عالماً جديداً ينبغى أن يسبك من عناصر الثقافات الإنجلوسكسونية والروسية والشرقية ؛ وأن حكمة الشرق هنا ذات غناء كبير

وراح يسأل : هل للصين فلسفة أو مذهب فلسفى كمذهب ديكارت مثلاً أو كانت أو غيرهما من المذاهب التى تقيم لنا بناء منطقياً شامخاً للتعريف بأسرار الكون ؟

ثم أسرع يجيب : كلا ، مع الفخر !

فأما « كلا » فهذا صحيح وينطبق على الصين كما ينطبق على بلاد شرقية كثيرة

وأما « مع الفخر » فهذا الذى فيه قولان أو أكثر من قولين

* * *

والواقع أن فلسفة الصين كلها تنحصر فى موضوعين متقاربين : أحدهما آدب السلوك ، والآخر رياضة النفس على علاج الأهواء ومسايرة الحياة

ومن كلام لن يوتانج هذا : « إننى — حين أتكلم بلسان الرجل الصينى — لا أحسب أن حضارة من الحضارات تسمى كاملة ما لم تنتقل من التكاليف إلى رفع الكلفة ، وترجع عن وعى وشعور منها إلى بساطة التفكير والمعيشة ، ولا أصف رجلاً بالعقل ما لم يكن قد تقدم من حكمة الحصافة إلى حكمة الحماقة ، وأصبح فيلسوفاً ضاحكاً يشعر بمأساة الحياة ثم يشعر بمهزلتها .

إذ لا بد لنا من البكاء قبل الضحك ، لأن الحزن يصير إلى اليقظة واليقظة تصير إلى ضحك الفيلسوف ، وملء هذا الضحك ولا ريب الرحمة والسماحة

وهذا الذى يقوله فيلسوف الصين الحديث هو إعادة عصرية لما كان يقوله فيلسوفها القديم كنفشيوس ، أو هو إعادة لكل فلسفة صينية حفظت لنا مسطوراتها إلى اليوم ، وخلاصة رياضة النفس والتغلب على الأحزان

فى بعض أيام كنفشيوس بلغت به المحنة أن أهدر دمه بين أميرين متنافسين ، كلاهما يقصده بالسوء وليس منهما من يحميه .

ومضت عليه سبعة أيام بغير طعام غير حساء الأعشاب التى تجمع من الخلاء ، فشحب وجهه وهزل بدنه ولكنه لم يزل فى مجلسه يترنم على قيثاره . فلما تبرم تلاميذه بهذه المحنة ، دعاهم إليه وناداهم : « ما هذا الذى تقولون ! ... إن المصاعب هى التى تعلمنا الهداية إلى الطريق ، وإنما فى صبارّة الشتاء تعرف حق المعرفة نضرة الربيع . وإن هذه الفتنة بين الأميرين لهى حظى السعيد » واستدار مترنما إلى كوخه وهو مجبور الفؤاد

هذه هى حكمة الصين بحذافيرها : آداب سلوك ورياضة نفس وخروج من ذلك كله بالصبر على مصاعب الحياة

ولم انحصرت حكمة الصين فى هذين الموضوعين ؟

لأن « البلاط الملكى » فيها قديم ، وما زال البلاط الملكى هو المصدر الأول لآداب السلوك وأصول الكياسة ورياضة النفس على السمت اللائق والعرف الجميل

فأصبحت القدوة المطلوبة هى الأخلاق التى تحمد فى معاشرة الملوك ، وأصبح قوام الحكمة كلها هو السلوك والرياضة ، بل أصبح الرجل الذى يروض نفسه على مسايرة الناس واحتمال سيئاتهم مرشحا للأمارة والملك ، حيث يخفق الرؤساء والكبراء

ومن النوادر التى تساق فى معرض هذا المعنى نادرة فى كتابهم المشهور « سفر الأسانيد » تجرى على النحو الآتي :

قال الأمير : من يجد لى رجلاً أرفعه إلى مرتبة الوكالة عنى ؟

فقال له بعض الحاشية : ابنك يا مولاى تلوح عليه مخائل الذكاء

قال الأمير : كلا فإنه شكس عنيد . أتراه يصلح لما نعهده إليه ؟

وقال غيره من رجال الحاشية : إن الوالى فلاناً يصلح لها

فقال الأمير : كلا . لأنه يتكلم عن الأعمال المظيمة ولا يعمل شيئاً ، وأمانته ظاهرة ليس لها قرار

قال بعضهم : ليس لها إلا « كون » المدير القدير

فأجابهم الأمير : كلا . كلا إنه يحيد عن القانون ويبنى القناطر لنفسه إذا عم الفيضان . يعنى أنه يجر النفع إلى ناحيته ولا يحفل بمصالح الناس

وعاد يسألهم أن يجدوا له رجلاً قديراً على ما يرجوه منه ولو لم يكن من النابهين الذين تقلدوا المناصب واشتهروا بين ذوى المقامات

فذكروا له رجلا من عامة الناس

قالوا للأمير حين سأل عنه إنه ابن رجل ضرير من الأجلاف أمه سخابة سبابة ، وأخوه صلف شديد الخيلاء ، ولكنه عاش معهم ووفق بينهم وأبطل شكايتهم ونزع منهم داعية الشر ، فهم هادئون وادعون

قال : إنه طلبتى ، وعلى اختباره

* * *

فحكمة الصين برعت فى أدب السلوك ورياضة النفس لأنها نشأت من البلاط العريق ولم تزل منذ نشأتها تدور حوله وترجع إليه

لكن هذا يفسر لنا نشأة الفلسفة السلوكية ولا يفسر لنا امتناع الفلسفة الكونية ، فلماذا امتنعت الفلسفات التى تبحث فى نظام الكون وسر الحياة وموضع الإنسان من هذا الوجود ؟

لماذا لم توجد فى الصين فلسفة أو مذاهب فلسفة كمذهب ديكارت وكانت وهجل وبرجسون وغيرهم من فلاسفة أوربا فى العصر الحديث ؟

الكهانة العريقة إلى جانب البلاط العريق

فالكهانة العريقة تفسر لنا امتناع الفلسفة الكونية ، لأن الكهانة تستأثر بأسرار الخلق وعبادة الخالق ولا تطيق المزاحمة من المفكرين فى هذه الصناعة

وقد امتنعت الفلسفة الكونية فى أوربا حين قامت الكهانة ودانت لها الشعوب بالصولة ورجع إليها الأمر كله فى العلم والتعليم والبحث عن حقائق الأشياء

فلما زالت هذه الصولة ظهرت الفلسفات الكونية بمقدار زوالها ، واشتهر القرن الثامن عشر وما بعده بتلك الفلسفات لأن العقول انطلقت فى القرن الثامن عشر من حكم الكهانة العريقة واستباحت البحث فيما كان قبل ذلك حكراً موقوفاً على رجال الدين .

* * *

وعلى هذا ليست المسألة مسألة فخر للصين أو لغير الصين لأنها برعت فى حكمة السلوك ولم تبرع فى الحكمة الكونية ؛ وإنما هى مسألة موانع طبيعية عاقت الوظائف العقلية عن غايتها التى ينبغى أن تتجه إليها ولا تحتبس دونها ، فهى نقص وليست بكمال ، وهى ضرورة مفروضة وليست بالمزية المقصودة ، كما أراد أن يصورها فيلسوف الصين الحديثة

وفى العهد الذى تتعاون فيه العقول على بناء العالم الجديد من عناصر الثقافات المختلفة ينبغى أن تتمثل لنا هذه الحقيقة ولا نغفل عنها

ينبغى أن نعلم أن حكمة السلوك ورياضة النفس إنما هى حكمة تراد لتيسير « المعيشة » أى للمنفعة والراحة

ولكن « المعيشة » ومنافعها دون « الحياة » ودوافعها

فنحن نحسن السلوك ونروض النفس لنعيش فى سلام

ولكننا نفسر نظام الكون ونستجلى أسرار الطبيعة لنفقه نصيبنا من الحياة ، ونتجاوز تيسير المعيشة إلى تحقيق معنى الوجود

والعالم الجديد ينبغى أن يكون عالم معيشة وحياة ، وأن يسمو فيه الإنسان عن طلب الراحة إلى طلب الكمال ، وعن تهدئة خواطره إلى توسيع تلك الخواطر وتقريب ما بينها وبين المثل الأعلى

وإلا فهو عالم « مادى » محدود وإن تظاهر بالزهد والحكمة ، ولا فرق فى الجوهر بينه وبين النازية والفاشية والعسكرية اليابانية ، وهى العلة التى من أجلها نلتمس الخلاص من العالم المتداعى إلى العالم الجديد

عباس محمود العقاد

الحديث ذو شجون

للدكتور زكى مبارك

الى الأستاذ إبرهيم المازنى

صديقى

حدثتنا مجلة آخر ساعة أنك سُئلت عنى فأجبت « لو أخلى زكى مبارك كتابته من الحديث عن زكى مبارك لكان أحسن مما هو الآن »

وبمثل هذا أجاب الأستاذ عباس العقاد حين سألته عنى مجلة الإثنين ، فكيف تمّ التوافق بينك وبين صديقك فيما كتبتما عنى ؟

أهو من باب توارد الخواطر ، ووقوع الحافر على الحافر ، كما كان يقال ؟ أم هو موصول بقصة المسيو ديبون ؟ ... ومن ديبون ؟

هو رجلٌ فرنسىٌ صنع شراباً سماه باسمه وأعلن عنه فى جميع البقاع الفرنسية ، فما تسير فى شارع ولا تدخل قهوة ولا تركب قطاراً إلا وجدت اسمه مسطوراً بأحرف كبيرة تبهر العيون . ولم يكتف بذلك ، بل وضع لوحة مسجوعة بهذا الوضع الطريف :

Chez Dupont, tout est bon !

وقد هالنى هذا الإسراف فى الإعلان فسألت صديقاً فرنسيًّا عن السرّ فيه فأجاب :

ذلك رجلٌ نفسانىٌ Psychologue هو يعرف العادة المتبعة فى القهوات الفرنسية ، العادة التى توجب أن يسألك غلام القهوة عما تطلب قبل أن تجلس ، فتنطق بأكثر الأسماء وروداً على بالك وهو ديبون !

والأمر كذلك فيما يتصل بحياتى الأدبية ، فقد قال الدكتور طه حسين مرة : إن أكثر أدب زكى مبارك فى الحديث عن زكى مبارك . فلما سُئل الأستاذ العقاد عنى وجد هذه العبارة فى باله فأجاب . ولما سئل الأستاذ المازنى عنى وجدها فى باله فأجاب

وكذلك تعاد قصة المسيو ديبون فى القاهرة بعد أن سئمها الناس فى باريس

وهنا مشكلة لا أكتمها عنك ، وهى الخوف منك ، ولكن كيف ؟

أنا لا أبالى نقد الدكتور طه حسين إياى ، لأننى نقدته بمئة مقالة ومقالة ، فمن السهل أن يقول الناس إنه ينتقدنى وفى نفسه أشياء

وأنا لا أبالى نقد الأستاذ العقاد إياى ، لأن بيننا أحقاداً تُنشر فى حين وتُطوى فى أحايين

الخوف كله من نقدك ، لأنك صديق حميم ، ولن أجد من يتهمك بالتحامل حتى أطمع فى أن يكذّب الناس ما تقوله عنى

يضاف إلى هذا أنك مسموع الكلمة ، وأن الجمهور لا يفطن إلى قدرتك على قلب الحقائق . وهل أنسى ما صنعت بنفسك وبصديقك العقاد ؟

كانت العيون ترى قبل عشرين سنة أنك طويلٌ جدًّا ، وأن العقاد قصيرٌ جدًّا ، فشاء بِرُّك بصديقك أن تزعم أنك القصير وأنه الطويل ، وما زلت تُبدِئُ وتعيد حتى آمن الناس بقولك وظنوا أنك قزم وأن العقاد عملاق !

وبنو آدم يصدقون مايسمعون وما يقرأون ، قبل أن يصدقوا ما تحدثهم به العيون والقلوب

من أجل هذا أنقض حكمك علىّ ، وأرجو أن تكف عنى شرَّك وإن لم تكففه عن نفسك ، فما بى حاجة إلى صديق يسير على طريقة المسيو ديبون

وماذا تنكر من حديثى عن نفسى ؟ وماذا ينكر صديقك العقاد ؟ وماذا ينكر الدكتور طه حسين ؟

هل كان أدبك يا صديقى المازنى إلا دوراناً حول نفسك ؟ وهل كتب الأستاذ العقاد مقالاً أقوى من مقاله الأخير فى مجلة الرسالة عن الأزمة التى صاولت روحه يوم احتلال العلمين ؟ وهل كتب الدكتور طه أقوى مما كتب فى الحديث عن طفولته وصباه ؟

إن تصوير هموم النفس وما يحيط بها من مخاوف وآمال هو أدب صحيح جعلته الكتب السماوية من شمائل الأنبياء ، فما العيب فى أن يكون الحديث عن النفس من خصائص أدبى ؟

وهل يمكن أن أتعرّف إلى الوجود قبل أن أتعرّف إلى نفسى ؟

وهل كانت روائع الأدب فى جميع الأمم إلا أحاديث نفسية ؟

ما هو سِفر أيوب الذى تُرجم إلى أكثر اللغات ؟

ألم تكن أصالته فى التعبير عن المخاوف الروحية ؟

وهل كانت أكثر القصائد الخوالد إلا إفصاحا عن عواطف ذاتية ؟

قال ديكارت : أنا أفكر ، فأنا إذاً موجود

Je pense, donc je suis

ومن معانى هـذه العبارة أن الشعور بالنفس هو أساس الشعور بالوجود

لا موجب للمداورة فى محاورتك ، فأنت لم تنكر علىّ الحديث عن النفس بمدلوله المعروف عند رجال الأدب ، ولا كان هـذا ما أنكره الدكتور طه والأستاذ العقاد ، وإنما تنكرون الثناء على النفس ، وهذا يقع من حين إلى حين ، والثناء على النفس يضايق الناس حين يكون ثناء بالحق ، وإلا فمن الذى استطاع أن يكذّبنى حين أثنيت على نفسى ؟

ولكن هل جال فى خاطرك أن تبحث عن السرّ في هذه النزعة النفسية ؟

هل حاولت إدراك الأسباب للتكبير الذى أقع فيه كارهاً غير طائع ؟

لو أنك فعلت لعرفت أنى لا أتكبر إلا متحدّياً ، والتحدى نزعة طبيعية تطوف بالنفس حين تفكر فى دفع الجحود والعقوق

وإليك شاهداً من مقالك بجريدة البلاغ فى مساء هذا اليوم « ١٨ — ٧ — ٤٣ »

فى كلامك عن « قصة الأدب فى العالم » أثنيت على رأى المؤلفين الفاضلين أحمد أمين وزكي نجيب حين قررا أن عمر بن أبى ربيعة لم يقتصر على معشوقة واحدة ، وإنمـا تبع الحسنَ أنّى كان ، بخلاف ما كان عليه أمثال قيس وكثيّر وجميل

ثم تحمست للأمانة الأدبية والتاريخية فقلت :

« وهذا تفريق سَبق إليه العقاد فى كتابه (شاعر الغزل) وقد بسطه بسطاً وافياً وتوسع فى بيانه . ولست أقول إن المؤلفين الفاضلين أخذا هـذا التفريق عنه ، فليس ما يمنع أن يتنبها إليه ، ولكنى أقول إن الأستاذ العقاد سبقهما إليه ، فمن الإنصاف أن يُذكر له فضل السبق ويُسجَّل »

وهذه حماسة مشكورة ، وهى من بعض صفاتك الطيبات ، ومن الواجب أن نتلقاها بالترحيب ، ولكن هذه الحماسة نفسها تقابَل بالإنكار حين تصدُر عنى ، كأن أقول فى الرد عليك إن أول من سجل هذا الرأى فى كتاب طبع ثلاث مرات هو المبارك لا العقاد

إن كتاب « حب ابن أبى ربيعة وشعره » طبع أول مرة أوائل سنة ١٩١٩ ، وهذا الرأى مدوّن فى أول طبعة ، فهل تكره أن أثنى على نفسى فأقول إنى سبقت العقاد إليه بأكثر من ثلاثة وعشرين عاما ؟

وما أقول إنى كنت فى بالك حين سجلت للعقاد ذلك السبق ، فمن المحتمل أن يغيب عنك أنى أول من أصدر كتاباً عن شاعر الغزل ، وأن كتابى كان المنار لكل من تحدثوا عن ذلك الشاعر الفنان .

وأنا فى الواقع أتعجب من استهانة الباحثين بالأمانة العلمية فى هـذا العهد ، فما يمرّ أسبوع بدون مفاجآت غريبة تتمثل فى سرقات جريئة من مؤلفاتى ومقالاتى ، وأنا مع هذا أسكت لئلا يقال إنى أكثر من الحديث عن نفسى !

وإصرارك وإصرار صديقك على أن هذا من عيوبى لن يصدنى أبداً عن النص الصريح بأن خلائق كثيرة تنهب آرائى علانية وتعيش بها عيش السعداء

هل تذكر ما قال بعض الناس حين جازيت العقاد قتالاً بقتال ؟

قالوا إننى أثنيت على العقاد من قبل ، فكيف أهدم ما بنيت بالأمس ؟

والاعتراض صحيح ، ولكن المعترضين غفلوا عن أسباب ذلك الثناء ، فقد أردت أن أشرح لطلبة السنة التوجيهية عناصر الكتبَ المقررة لمسابقة الأدب العربى ، وعند ذلك تذكرت أنى مدرس يعلّم تلاميذ ، ومن واجب المدرس أن ينزه أحكامه عن الأهواء

وأثنى على نفسى فأقول إن تلك الدراسات نفعت المتسابقين أجزل النفع ، وقد شكا الدكتور عبد الوهاب عزام والأستاذ ابراهيم مصطفى من تأثير تلك الدراسات فى عقول الطلاب ،

وقالا فى دعاية إنهما سيرجوان وزير المعارف أن يشير بأن لا تعاد تلك الدراسات فى مجلة الرسالة ، بعد أن ظهر أنها تُكثر من عدد الفائزين !

بهذا الصدق فى الأحكام الأدبية أنصفت نحو عشرين باحثاً من رجال هذا الجيل ، وفيهم خصوم ألدّاء يَشرقون بريقهم حين يسمعون اسمى

فأين من يملك من الصدق بعض الذى أملك ؟

المازنى وحده يستطيع أن يجازينى صدقاً بصدق ، فقد وقف بجانبى وقفة كريمة ، يوم قال الدكتور طه على صفحات الرسالة إن كتاب النثر الفنى كتاب من الكتب أخرجه كاتب من الكتّاب

ولكن هل يستطيع الأستاذ المازنى أن ينصف خصومه كما أنصف أعدائى ؟

لقد يئست من إنصاف الناس ، فكيف لا أنصف نفسى ؟

فى كتاب « ملامح المجتمع العراقى » ثناء على الأستاذ المازنى والأستاذ الزيات ، فهل قدمت نسخة من هذا الكتاب إلى أحد هذين الرجلين ؟

عزّ علىّ أن أظهر بمظهر من يمن على الصديق ، واستغنيت عن تقريظ الرسالة وتقريظ البلاغ ، اكتفاء بما أثنيت به على نفسى فى مقدمة الكتاب !

وأعجب العجب أنى أهديت كتابى إلى رجل لا ينتظر منى أى معروف ، ولا أنتظر منه أى جزاء ، ليكون فى عملى شئ لوجه الله ولوجه الوطنية ، وهو رجلٌ سبقنا جميعاً إلى التشرف بخدمة العلم فى العراق ، ولم يحفظ له مواطنوه بعض ما حفظ له العراقيون

وأنا بعد هذا أسأل من يُؤذيهم ثنائى على نفسى ، أسألهم متى يجاهدون فى الأدب كما أجاهد ؟ ومتى يعانون فى سبيل الأدب ما أعانى ؟

أين الزميل الذى يقول إنه أحرص منى على الوفاء بحقوق القلم البليغ ؟

وأين الشخص الذى يملك الزعم بأنه نفعنى ؟ ومن هو المخلوق الذى يتوهم أن له ديناً فى عنقى ؟ ومن هو الروح الطاهر الذى يطمع فى السيطرة على شيطانية روحى ؟

كانت الغاية عندى أن أقيم الدليل على أن لوطنى وجودية تحميه من الأباطيل ، وكانت حياتى شاهداً على صحة ما ابتغيت ، فما استطاعت قوة أن تهدمنى ، ولا جاز فى وهم مخلوق أن يرانى من أتباعه ، ولو كان أعظم العظماء

أنا أخاطب رجلاً هو الأستاذ المازنى ، أخاطب رجلاً يسره أن يعلم أنى أسيطر على شآبيب من الدواهى اللواحق ، وسأصبها على أعدائى حين أشاء

إن أدبى من صُنع الله ، وثقة الجمهور بأدبى من فضل الله ، ولن أرتاب لحظة فى أنى أول كاتب وأول مؤلف وأول شاعر فى هذا الزمان

هاتوا برهانكم بإخصومى إن كنتم صادقين !

هاتوا برهانكم ، هاتوه ، إن استطعتم الاعتصام بخيوط الأحلام

أنا أثنى على نفسى ؟؟

هو ذلك ، لأنى أسهر الليل فى مسامرة قلمى ، ولأنى أومن بأن الاعتماد على الماضى هو ثروة السفهاء من الوارثين

سنلتقى غداً وبعد غد ، وسيكون صرير الأقلام أخطر من قعقعة السيوف

وإلى اللقاء ، ولعله قريب ! زكى مبارك

٢ - المسرح المصري
وكيف نشيده على دعائم ثابتة

للأســـتاذ دريني خشبة

بينا في الكلمة السابقة ما ينبغي توفيره لجميع رجال المسرح من الكرامتين المادية والمعنوية ، وبينا نصيب كل من وزارتي المعارف والشئون من مهمة إنهاض المسرح المصري وموالاة العناية به حتى يقوى عوده ويشتد ساعده ؛ لأنه بذلك يكفل لنا نهضة اجتماعية ونهضة إصلاحية ونهضة في اللغة ونهضة في الأدب ونهضة في الأمن ونهضة في الذوق العام ونهضة في جميع فروع الحياة المصرية ، بل نهضة الأمم العربية قاطبة في كل فروع حياتها

وبينا كذلك ما يجب على بلديات المدن المصرية جميعاً أن تساهم به في هذا السبيل ، وما يجب أن يفهمه أعضاء تلك البلديات من أن مهمتهم لا تقف قط عند حدود مراعاة النظافة في مدنهم وتجميل شوارعها ، وغرس الأشجار على جوانب الطرقات ، وما إلى ذلك من عمليات الكنس والرش والإضاءة وتوفير المياه المرشحة وإنشاء المجاري ... كلا ... إن مهمة أعضاء البلديات لا تقف قط عند حدود هـذا الجهاد الأصغر ، كما قال مرة أحد مشجعي النهضة المسرحية في ألمانية ... بل إنها تتعدى تلك الحدود إلى جهاد أكبر يفوقها قيمة وجدوى ... ذلك هو العمل على رفع مستوى الشعب وحياته الاجتماعية ... فيجب ألا يقتصر الكنس على شوارع المدينة وحاراتهـا ، بل ينبغي أن يتناول القاذورات المختبئة في نفوس الأفراد أيضاً ... وإذا نجحنا في إزالة هذه القاذورات استطعنا أن نضاعف نظافة المدينة وأن نزيد في جمالها ورونقها ... والحمد لله ، فلقد تنبهت بلديات كثيرة مصرية إلى واجبها نحو الثقافة العامة ، فأنشأت دور الكتب والمسارح التي اقتصرت إلى الآن على عرض الصور المتحركة ، فلتكن هذه باكورة نهضة مسرحية إقليمية تحكي بها ما قام في انجلترا من المسارح المتنقلة ، الـ circuits ، ومسارح المدن الخاصة التي سمينا الكثير منها في الفصول السابقـة من المسرح في أوربا

فإذا وُجد المسرح المصري على هذا النحو ، فلا مندوحة من أن يبدأ حياته على صورة ما من صور مسارح المستودعات ، وذلك إلى أن توجد الدرامة المصرية الحقة التي يمكن أن تأخذ مكانها بين الدرامات العالمية المثالية ، والتي نستطيع إخراجها على صورة تمثل مصريتنا تمثيلاً صادقاً لا بهرج فيه ولا تهريج

ولما كانت مسارح المستودعات الـ Prepertory تعنى بتمثيل الدرامات العالمية - أو الوطنية - التي سبق تمثيلها قبل عنايتها بإخراج روايات جديدة فسيواجه مسرحنا مشكلة نقـل طائفة كبيرة من أشهر الدرامات الأجنبية إلى اللغة العربية ... وقد عرضنا في كلمة سابقة لهذه المشكلة وأثبتنا تقصير الهيئات جميعاً في معالجتها ... ونحن ما نزال عند الذي قلناه في هذا الصدد ، ولن يضيرنا أن ينقم علينا من ينقم ما دمنا نقول الحق وننشد الخير ... فالدولة - ممثلة في وزارة المعارف - لم تتناول بعد مشكلة الترجمة بما ينبغي لها من عناية ورعاية ... وتقصير الدولة في ذلك يؤخر نهضتنا ويقعد بها ويؤذيها ، كما يؤخر الأدب واللغة ويقعد بهما ويؤذيهما ... وإن تأخرت نهضتنا وتأخر أدبنا ولغتنا تأخرت عجلة الحياة في مصر بل في الشرق العربي عامة

إنه لا بد من حركة ترجمة واسعة شاملة للأدب الأوربي بوجه عام ، وللآداب المسرحية بوجه خاص ... يجب أن تتصل نهضتنا بأقطاب الفكر العالمي عن طريق ترجمات عربية قوية لروائعهم التي تمد مكتبتنا بثروة ليست بعدها ثروة ، فيجد شبابنا ما يثقف به نفسه من ذلك الغـذاء الروحي العظيم الذي سيظل محروماً منه ما دام محبوساً عن لغتنا ... يجب أن تعرف المكتبة العربية جميع روائع شكسبير ومارلو وبن جونسون وتشابمان وشريدان وكونجريف وباري وشو وجولدورثي وويلد وباركر وماسفيلد وسينج وييتس وروبنسن وغيرهم من أساطين الدرامة الإنجليزية

يجب أن تعرف المكتبة العربية جميع الطُّـرف السامية التي أنتجتها قرائح آلهة المسرح الفرنسي من أمثال : موليير وراسين وهاردي وكورني وجان روترو وكوينولت وكريبلون وهوجو وسكريب وروستان

إلى متى تحرم المكتبة العربية من درامات المسرحيين الأسبان

أمثال : ناهارو ، ولوب دي رودا ، ودى أرجنسولا ، وما أبقت عليه يد العفاء من درامات سرفنتس ، ثم لوب دى فيجا العظيم الذى يؤثر أنه أنب للمسرح ألفاً وثمانمائة درامة بقى منها أكثر من أربعمائة إلى يومنا هذا ، ثم تروسو دى مولينا ، وكالدرون ، وألاركون ، وزوررلا ، ودى جويفارا ، ودى موراتان ، وتامايو ، وجوسى إشجارى ، وبلايو ، وبلاسكو إبانى Ibanez

ومتى يستطيع القارىء العربى أو المسرح العربى الاستمتاع بدرامات المسرحيين الإيطاليين أمثال : ترستينو ، تاسو ، أريوستو ، مكيافللى ، جواريني ، مافى ، زينو ، ألفييرى ، جولدونى ، كارلو جوزّى ، متاستاسيو ، مونتى ، فوسكولو ، مانزونى ، نيكولينى ، كوسّا ، دانتزيو وبيراندللو ؟

ولنذهب فى برقشة مقالنا بأسماء المؤلفين المسرحيين فى الأمم المختلفة إلى حد المغالاة ، فنذكر والحسرة تملأ جوانحنا أن المكتبة العربية محرومة من ترجمات لدرامات النوابغ الجرمانيين : يعقوب ومفلنج ، سلفس ، كرشماير ، لسنج ، ويس ، إشنبرج ، جوته ، كلنجر ، ملر ، شلر ، كورنر ، شليجل ، جرلبارزر ، هيل ، جراب ، موسن ، لدفج ، هالم ، رايموند ، لوب ، أنزنجروبر ، سودرمان ، هرشفلد ، ويلدنبروخ ، هوبتمان ؛ كما أنها محرومة حتى من نموذج واحد من الدرامات التعبيرية التى وضعها جورج قيصر ، وأرنست تُللر ، وسترنهايم ، وبولنبرج ، وهاودن ، وبول إرنست ، وفرانز ورفل

وماذا نقل إلى اللغة العربية من درامات المسرحيين الهولنديين هامسُن ، وشمل ، ونوهايز ، ودى كو ، وهايرمانز ، وسيمونز ميز ، وألفونس لودى ؟

وماذا تعرف العربية من درامات هولبرج ، وإبسن ، وهيبرج ، وبجار ، وبراتمان ، وهانز كنك النرويجيين ؟

وهل تعرف المكتبة العربية درامات بلانشن ، وستردنبرج السويديين ؟

وهلْ تعرف مكتبتنا الدّراميين الروس مايا كوفسكى ، وترتيا كوف ، وليولنتس

وهل نقل إلينا شيء من درامات التشكيين لقوفيك ، ودفوراك ، وفشر ، وكارل كابك الذى مثلت جميع دراماته فى جميع مسارح العالم ؟

وبعد :

فلقد تعمدت أن أسلم القارئُ العربى لهـذا التيه المضل من أسماء كتاب الدرامة وشعرائها ليعلم إلى أى حد نحن محرومون من هذه الثروة الذهنية الهائلة التى ينعم بها أهل اللغات الأخرى لأنها مترجمة إليها ... وأننا محرومون منها بسبب إهمال وزارة المعارف وتكاسل الجامعة وكبار الأدباء الذين لا يجدون تشجيعاً ولا حافزاً

لقد أهملت مئات من كتاب الدرامة فلم أذكرهم لأنهم ممن كتبوا أقل من عشر روايات ... ومع ذلك فقد ذكرت أشهر المكثرين فقط ، ولو أراد أحد سرد أسمائهم جميعاً لضاق بهم نطاق أعداد عديدة من هذه المجلة ... وكنت أوشك أن أسرد عشرات من كتاب الدرامة اليابانية التى لا تقل رونقاً عن الدرامة الأوربية ، إلا أنني حسبت حساب تلك الابتسامات العريضة المتورمة التى تؤول ما أردت من ذكرها أسوأ تأويل ... ولهذا أيضاً غضضت الطرف عن أبطال الدرامة الأمريكية فى كل ممالكها

إن فى عالم الأدب دنيا بأكلها من الدرامة الراقية واكبت كل عصور التاريخ ... فتى تكون لنا درامة عربية ياترى ؟! وكيف تكون لنا درامة عربية ونحن لم ننقل مائة أو مائتين من عشرات آلاف الدرامات العالمية لينسج كتابنا على منوالها ، وليكب شبابنا على قراءتها فتترك فى قرائحهم خمائر التفكير اللازمة للانتاج الذى نطمع به ونفكر فيه ، ثم هى تعلمهم كيف يقسمون فكرة الرواية إلى فصول ، وكيف يقسمون الفصول إلى مناظر ، وكيف يمهدون للمفاجئات ، وكيف يسلسلون الحوار ... ثم كيف يخلقون لنا درامة مصرية تعالج مشكلاتنا وتتناول قضايانا وتسلك أدبنا فى موكب الآداب العالمية الراقية التى يمثلها الأدب المسرحى أحسن تمثيل وأصدقه

إلى متى ياترى يظل أدبنا يباباً فارغاً هكذا ؟

على رسلك أيهـا القارىء الذى يظن بى الظن ، فأنا لا أقل

هنك غَـبْرةً على الأدب العربي ، وبالأحرى على الأدب المصرى ؛ وأنا أقدر لغتي العربية بل أقدسها ، لـكني مع ذاك أعترف بأن الأدب العربي سيظل وسوف يظل وراء الآداب العالمية قاطبة ، ما لم نسلك فيه الأدب المسرحي وآداباً أخرى غير الأدب المسرحي ليس هنا مقام ذكرها . . . والسبيل إلى أن نسلك في أدبنا هذه الألوان من الأدب لا بد أن نبدأ بالترجمة ... لنترجم عن أدباء انجلترا وإرلندة وفرنسا وألمـانيا والنمسا وإيطاليا وأسبانيا والسويد والنرويج وتشكوسلوفاكيا وبولندة وروسيا وأمريكا . وعن أدباء اليابان والصين إن وجدنا إلى الترجمة عنهم من سبيل لنترجم عن هؤلاء وهؤلاء ، فلقد أصبح لـكل أمة أدب قوى مستقل كما أصبح لـكل أمة مسرح قوى مستقل ... إلا مصر وإلا الشعوب العربية قاطبة ، فأدبهـا ما يزال أدب تراجم وقصائد ومقالات . . . وإن شدا من القصة نصيباً ضئيلاً لا غناء فيه بعد

وما دامت الترجمة هى السبيل الوحيدة الآن أمامنا لنخدم أدبنا المصرى وأدبنا العربي ولنخدم مسرحنا ولنخدم لغتنا ، فماذا يقعدنا عن التوسع فيها توسعاً لا نبخل عليه بجهد أو مال ، ولا يصح أن نبخل عليه بجهد أو مال ، وإلا أثبتنا أننا أمة من الأميين ... ممن يفـكرون كثيراً وينفذون قليلاً ... بل لا ينفذون شيئاً

كيف يستكثر علينا مستكثر أن نصرخ في آذان وزارة المعارف لـكي تقوم بواجبها في هـذه السبيل فتولى عنايتها إدارة الترجمة بهـا وتشجع المترجمين بالمبالغ الضخمة التي تحفزهم وتشحذ هممهم

لـماذا لا ترفع عدد المترجمين الفنيين إلى مائة أو مائتين بدل هذا العدد الذى لم يرتفع إلى عشرة بعد ؟

لـماذا لا يتنوع المترجمون فينقلون من الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية والأسبانية واليونانية القديمة ومن اللاتينية والروسية ؟

لماذا لا ترصد المبالغ الضخمة لهذه الإدارة التي لا تقل فائدتها للبلاد واللغة والأدب والعلم عن الجامعة ولا عن مجمع اللغة ولا عن مصلحة الآثار ؟

ومتى يتاح لوزارة المعارف عصر كهذا العصر الديمقراطي الذى يعنى بصالح الأمة فيهيىء لأدبها ولغتها هذا الإصلاح ؟

ومتى يتاح لوزارة المعارف رجلان كالرجلين اللذين يرسمان سياستها ويقودان سفينتها ، فتكون فرصة إدارة الترجمة ، وفرصة الأدب العربي ، وفرصة اللغة ، وفرصة المسرح ، وكل فرص الحياة الثقافية العامة في وجودهما ، ولتعز إدارة الترجمة ، وليعز الأدب العربي ، ولتعز اللغة العربية ، وليعز المسرح المصرى ورجاله الشهداء الأوفياء ؟!

... ليقل جاهل أو غبى كما قال من قبل ، إن هذا كلام له ما وراءه ... لا ... فنحن بحمد الله مستعدون للارتداد إلى خطوطنا الأولى ... ولذلك فإنا لا نبالى بأن نلاحظ على وزارة المعارف تقصيرها في العمل للنهضة الثقافية بمصر ، بالرغم ممـا هيىء لها من زعامة أدبية خالصة كانت لمصر فيها آمال كبار ؛ وما تزال لها فيها تلك الآمال الـكبار . وإنـا لن نمل من الـكتابة في هذا والتبشير به والإلحاح فيه ، حتى تبلغ منه نهضتنا ما تريد

على أن التفـكير في إنشاء معاهد كثيرة للتمثيل ، لا بد أن يسبقه تفـكير في نقل عدد كبير من الدرامات الأجنبية الرائعة لأشهر الـكتاب الدراميين كى تجد المعاهد ثروتها من الروايات التى تتخذ نماذج لتطبيق دراساتها كما تجدها مهيأة للتمثيل ... وإلا فهل نحن معتزمون أن تـكون الدراسة في تلك المعاهد بالعربية ثم يكون التطبيق العملى بلغة أجنبية ؟

وإذا نحن سلمنا بهذا ونقلنا عدداً كبيراً من الدرامات الأجنبية ، لزم أن نلخص تاريخاً عاماً للمسرح في الممالك المختلفة ليلم الممثلون بتاريخ المؤلفين وتاريخ التطور المسرحي في كل منها . والقيام بعمل هذا الملخص لتاريخ المسرح يصح أن يوكل لهيئة من المترجمين ، أو أن يكون قسمة بين إدارة الترجمة ومدرسي معاهد التمثيل .

(يتبع)

دريني خشبة

كيف بدأ الإصلاح في الأزهر
وكيف نصل الآن إليه

للأستـــاذ عبد المتعال الصعيدي

كلما صرفت نفسي عن الكلام في إصلاح الأزهر عاودها الحنين إليه . وكيف أنسى عقيدة أشربت حبها منذ الطلب ، ومضى على جهادي فيها أكثر من عشرين عاماً ، ولقيت فيها من العَنَتِ ما لقيت ، وبذلت من التضحية ما بذلت ، خالصاً لوجه الإصلاح ، لا أبتغي بذلك عوضاً ، ولا أقصد أن أجربه منها

وقد قرأت ما كتبه صديقي الأستاذ الجليل محمد المدني تعليقاً على محاضرة صديقي الأستاذ الكبير محمود شلتوت ، فوجدتهما يُرجعان بقاء الأزهر على جموده في هذا العهد إلى الكتب القديمة ، لأن الأزهريين لا يزالون يعولون عليها في جميع مراحل التعليم ، ولا تزال الدراسة في المعاهد الدينية متجهة إلى شرح ألفاظها ، وتضييع الزمن في مماحكاتها اللفظية التي لا طائل تحتها . وقد ذكرني هذا بما نشرته في أوائل هذا العهد على صفحات مجلة الرسالة وغيرها ، وذلك حين قمت بنقد ما يشكوان الآن منه بعد فوات الوقت ، فغضب لذلك من كان يناصر هذا العهد لغير الإصلاح ، وكان لهذا الغضب أثره في حرماني من بعض حقوقي ، فقبلت ذلك راضياً ، وصبرت عليه إلى وقتنا هذا في غير شكوى ولا تألم ، لأن من ينصب نفسه للجهاد لا تؤلمه التضحية ، وقد يسر بها كما يسر أصحاب الدُّيانات بقضائها . ولو أن الصديقين الفاضلين ضما صوتيهما إلى صوتي في ذلك الوقت لكان لذلك منا شأن آخر ، ولم ينظر إليه تلك النظرة التي قوبل بها صوتي ، لأنهما كانا محل الثقة من رجال هذا العهد ، وكانت كلمتهما مسموعة عندهم

وما علينا من هذا كله ، فما نريد الآن إلا أن نبين كيف نصل الآن إلى إصلاح الأزهر ، وقد مضى على معالجته نصف قرن أو أكثر ، وهو ما يقرب إلا ليبعد ، ولا يسهل أمره إلا ليعسر . وها نحن أولاء الآن لا نزال كما كنا قبل معالجة ذلك الإصلاح ، نألف الجمود ونعض عليه بالنواجذ ، ونقف من الإصلاح الذي يقضي على هذا الجمود موقف المعارض المعاند . ولا يزال الذين يؤمنون بيننا بهذا الإصلاح يعدون على الأصابع ، وليس لديهم من القوة ما يمكنهم أن يقضوا به على ذلك التعصب للجمود ، وقد بذلوا من التضحية في الإصلاح ما بذلوا ، ولكن التضحية وحدها لا تفيد في القضاء على التعصب ، وإنما يفيد في ذلك القوة الغالبة ، والسلطان القاهر ، والتاريخ على ذلك شاهد عادل

ومن ينظر إلى بدء الإصلاح في الأزهر يجده لم يتم إلا بتلك القوة ، ولم يأخذ سبيله فيه إلا بعد أن تدخلت الحكومة في أمره ، وقد كان تدخلها في ذلك بعد أن لجأ إليها المصلحون من رجال الأزهر ، وأقنعوها بصواب ما يدعون إليه من الإصلاح ، ولو لا تدخلها في ذلك ما خطا الأزهر في الإصلاح تلك الخطى ، ولبقي إلى وقتنا قابعاً في عزلته ، راضياً بالانكماش الذي كان راضياً به ، ولم يكن هذا الانكماش في شيء من ديننا ، وإنما هو من الرَّهبانيَّة التي أباها الإسلام لأهله

وكان الذي قام بإقناع الحكومة بذلك هو الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، فقد ذكر السيد محمد رشيد رضا في تاريخه أنه لما جلس عباس باشا حلمي على كرسي الخديوية تجددت للبلاد المصرية آمال ، وتوجهت إلى أعمال يقصد منها إزالة الاحتلال ، وكان الشيخ محمد عبده يرى أن إزالة الاحتلال لا يمكن أن يحل بوسيلة السياسة إلا باتفاق الدول ، وأن الرجاء في اتفاقهم على ذلك بعيد ، فأراد أن يكون حظه من حب الخديو للعمل السعي في إصلاح الأزهر والمحاكم الشرعية والأوقاف ، فاتصل به وحظي عنده وكاشفه برأيه في إصلاحها ، فقال له : إن لدى أفندينا هذه المصالح الثلاث العظيمة ، فيمكنه أن يصلح الأمة كلها بإصلاحها ، وهي دينية ويجب المبادرة بإصلاحها . ثم ذكر له كليات هذا الإصلاح ، ولم يخرج من عنده حتى أقنعه به.

فمن هذا الوقت أخذت الحكومة في إصلاح الأزهر ، وقد بدأت أولاً بتأليف مجلس إدارة للأزهر مؤلف من أكابر علماء المذاهب الأربعة ، وأضيف إليهم الشيخ محمد عبده والشيخ عبد الكريم سلمان على أنهما عضوان من قِبَل الحكومة ، فسار هذا المجلس بهمة صادقة في إصلاح الأزهر ، وسلك في ذلك سُنَّة التدرج ليأمن الاصطدام بأعداء الإصلاح ، ويأخذ الأزهريين به شيئاً فشيئاً ، وكانت الحكومة من ورائه ترعاه بالمساعدة ، وتصد عنه كيد هؤلاء الأعداء ، وتأخذهم بالشدة إذا جنحوا إلى الثورة ، حتى لانوا واستكانوا . ونجح هذا المجلس في إقامة الدعائم الأولى للاصلاح ، فألف أهل الأزهر النظام في أعمالهم ودروسهم ، وأقبلوا على دراسة العلوم الحديثة التي كانوا ينفرون من دراستها

وكان الشيخ محمد عبده يرى أن ما نجحوا فيه من ذلك يجب أن يكون وسيلة لا غاية ، لأن الإصلاح الحقيقي لا يصح أن يقف عند هذه الحدود ، بل يجب أن يتعداها إلى فتح الأذهان المقفلة في الأزهر ، وكسر قيود التقليد في العلوم القديمة ، حتى تدخلها آثار التجديد ، وتخلع تلك الأثواب البالية ، وتعود إلى ما كانت عليه علوماً تفتح العقول ، وتربي العلماء المجددين ، والأئمة المبرّزين . وقد سأله السيد محمد رشيد رضا عن رأيه فيما قاموا به من إصلاح الأزهر ، فذكر أنه لم يحصل شيء من الإصلاح يذكر إلى ذلك الوقت ، وأنه أراد أن يبدأ بأعمال عظيمة في الإصلاح اغتناماً للفرصة ، فأشير عليه بوجوب التدرج في الإصلاح ، وأنه لا بد له من المسايرة ، وإن كان يخشى أن تضيع الفرصة بما يسمونه التدرج

وقد أتى القوم بعد الأستاذ الإمام فساروا في ذلك على أنه غاية لا وسيلة ، ووقفوا عند هذه الحدود التي لا يصح أن يقف عندها الإصلاح ، فلم ينهضوا بالأزهر إلى ما يرجى له في هذا العصر ، وبقيت علومه القديمة في أثوابها البالية التي تزهد الناس فيها ، وتجعلها مماحكات لفظية لا فائدة في دراستها . وقد نبهتهم إلى ذلك بكتابي (نقد نظام التعليم الحديث للأزهر الشريف) فقامت على قيامتهم ، ولم تهدأ ثائرتهم إلا بعد أن أنزلوا بي من العقاب ما أنزلوا ، وكانوا يريدون عزلي من المعاهد الدينية ، فتداركني لطف الله تعالى ، وبقيت إلى وقتنا هذا مخلصاً لعقيدتي لا يثنيني عنها ما يفوتني بسبب إخلاصي لها

وقد أراد أستاذنا الشيخ المراغي في عهده الأول أن يصل بالإصلاح إلى هذه الغاية التي أرادها الأستاذ الإمام ، وأن يخطو في الإصلاح خطوة جريئة يقصد بها وجه الله تعالى ، ولا يبالي بما تحدثه من ضجة وصريخ ، فقد قرنت كل الإصلاحات العظيمة في العالم بمثل هذه الضجة ، ولكنه اعتزل منصبه بعد فترة وجيزة

وها هو ذا قد عاد إلى منصبه مرضياً عنه كل الرضا من ولي الأمر ، فما عليه إلا أن يستغل تلك الفرصة السانحة كما استغلها الأستاذ الإمام من قبله ، ويستدرك بهذا ما فاته في المرة الأولى ، وقد هُيّئت له أسباب النجاح ، ومُدّ له في منصبه حتى ذلت له العقبات ، وزال ما كان يعترض تلك الخطوة الجريئة في الإصلاح .

عبد المتعال الصعيدي

أقوياء الأبـــدان
فى العصور الاسـلامية
للأستاذ كوركيس عواد

للمؤرخين روايات ونوادر كثيرة بشأن بعض جبابرة الناس الذين أوتوا من ضروب القوى البدنية، ما أبقت لهم ذكراً وشهرة فى صحائف الكتب. ونحن نأتى فى هذا المقال بشىء مما انتهى إلينا من طرائف أخبارهم فى ميادين البطولة. فمن ذلك ما ذكر عن مبلغ قوة الأمين، سادس خلفاء بنى العباس (١٩٣ — ١٩٨هـ = ٨٠٩ — ٨١٣م) من أنه كان « فى نهاية القوة والشدة والبطش والبهاء والجمال، إلا أنه كان عاجز الرأى ضعيف التدبير غير مفكر فى أمره. ويروى أنه اصطبح ذات يوم وقد كان خرج أصحاب اللبابيد والحراب على البغال، وهم الذين كانوا يصطادون السباع، إلى سبع كان بلغهم خبره بناحية كُوثَى والقصر[١]، فاحتالوا فى السبع إلى أن أتوا به فى قفص خشب على جمل بختى، فحط بباب القصر وأُدخل، فثل فى صحن القصر والأمين مصطبح. فقال شيلوا باب القفص وخلوا عنه، فقيل له: يا أمير المؤمنين، إنه سبع هائل أسود وحش، فقال: خلوا عنه، فشالوا باب القفص، فخرج سبع أسود له شعر عظيم مثل الثور، فزأر وضرب بذنبه الأرض، فتهارب عنه الناس، وغلقت الأبواب فى وجهه، وبقى الأمين وحده جالساً فى موضعه غير مكترث بالأسد، فقصده الأسد حتى دنا منه، فضرب الأمين بيده إلى مرفقة أرمنية[٢] وامتنع منه بها، ومد السبع يده إلى الأمين، فجذبها الأمين وقبض على أصل أذنيه وغمزه ثم هزه ودفع به إلى خلف، فوقع السبع إلى مؤخره ميتاً. وتبادر الناس إلى الأمين، فإذا أصابعه ومفاصل يده قد زالت عن مواضعها، فأوتى بجابر، فرد عظام أصابعه إلى مواضعها، وجلس كأنه لم يعمل شيئاً. فشقوا بطن السبع، فإذا مرارته قد انشقت على كبده »[١]

ونظير ذلك ما عرف من تناهى قوة الخليفة العباسى المعتصم (٢١٨ — ٢٢٧ هـ = ٨٣٣ — ٨٤٢م)، فإنه « لم يكن فى بنى العباس من قلبه أشجع منه ولا أتم تيقظاً فى الحرب ولا أشد قوة. قيل إنه اعتمد بأصبعه السبابة والوسطى على ساعد إنسان فدقه. وكان يلوى العمود الحديد حتى يصير طوقا، ويشد على الدينار بأصبعه فيمحو كتابته »[٢]

ومثل ذلك ما تناقله بعض المؤرخين بصدد قوة المعتصم ومتانة جسمه، وإليك الخبر: « قال ابن أبى دؤاد: كان المعتصم يخرج ساعده إلىّ ويقول: يا أبا عبد الله، عض ساعدى بأكثر قوتك، فأقول: والله يا أمير المؤمنين، ما تطيب نفسى بذلك، فيقول: إنه لا يضرنى، فأروم ذلك، فإذا هو لا تعمل فيه الأسنة فضلاً عن الأسنان »[٣]

وزاد السيوطى على الخبر المتقدم ما هـذا نصه: « وقال نفطويه: وكان [المعتصم] من أشد الناس بطشاً، كان يجعل زند الرجل بين إصبعيه فيكسره »[٤]

وروى الخطيب البغدادى أن المعتصم « انصرف يوماً من دار المأمون إلى داره، وكان شارع الميدان منتظما بالخيم فيها الجند. فمر المعتصم بامرأة تبكى وتقول: ابنى ابنى! وإذا بعض الجند قد أخذ ابنها. فدعاه المعتصم وأمره أن يرد ابنها عليها، فأبى. فاستدناه فدنا منه، فقبض عليه بيده، فسُمع صوت عظامه، ثم أطلقه من يده فسقط، وأمر بإخراج الصبى إلى أمه »[٥]

ومما حكاه ياقوت الحموى عن ابن زُهر الطبيب الأندلسى الشهير، المتوفى سنة ٥٩٥ أو ٥٩٦ هـ (١١٩٨ — ١١٩٩م)،

(١) موقعان قديمان فى أرض بابل. تعرف أطلال الأول منهما اليوم بتل إبراهيم

(٢) المرفقة: المخدة. والأرمنى: نسيج فاخر متين، عرف بذلك لأنه كان يصنع فى بلاد أرمينية

(١) مروج الذهب للمسعودى (٦: ٤٣٢ — ٤٣٣ طبع باريس)

(٢) خلاصة الذهب المسبوك لعبد الرحمن الاربلى (ص ١٦٢)

(٣) تاريخ بغداد للخطيب البغدادى (٣: ٣٤٦)

(٤) تاريخ الخلفاء للسيوطى (ص ٢٢٢ طبعة المنيرية بالقاهرة)

(٥) تاريخ بغداد (٣: ٣٤٦)

أنه « كان شديد البأس ، يجذب قوساً[1] مائة وخمسين رطلاً بالاشبيلى ، وهو ست عشرة أوقية »[2]. وهذا الخبر عينه نقله ابن أبي أصيبعة بأن زاد فى التعريف أن : « كل أوقية عشرة دراهم »[3]

ونظير ذلك ما روى عن بكتمر السلاح دار الظاهرى المنصورى ، المتوفى سنة ٧٠٣هـ (١٣٠٣م) من أنه كان « حسن الرمى ، يرمى على ستة وثلاثين رطلاً بالدمشقى »[4]

ومثلهما فى هذا الباب ، أنس بن كتبغا الملقب بالمجاهد ، المتوفى سنة ٧٢٣هـ (١٣٢٣م) ، فقد « عانى الفروسية ورمى النشاب ، حتى صار أوحد عصره فيه ، يُقال رمى على قوس زنة مائة وثمانين رطلاً »[5]

وقد عُرف غير واحد من هؤلاء الأبطال الأشداء ، فكان من جملتهم كُستاى أمير السلاح المتوفى سنة ٧١٦هـ (١٣١٦م) فإنه « كان شديد البأس قوى البدن ، كان يأخذ العظم الكبير من الشاة فيكسره بيده قطعتين »[6]

ومن الغرائب فى هذا الباب ، ما حكي عن قطليجا بن بلبان الجوكندار ، المتوفى سنة ٧٢٠هـ (١٣٢٠م) ، من أنه « كان فارساً بطلاً خفيف الحركات ، يقال إنه ساق فرسه ، فأخذ نصف سفرجلة من غصنها ، وبقى نصفها الآخر مكانه »[7]

ومثله فى هذا الميدان ما نقله ابن رافع السلامي فى ترجمة عبد الرحمن بن عبد المحسن بن عمر بن شهاب بن عليّ الواسطى ، الذى كان حيًّا سنة ٧٢٨هـ (١٣٢٧م) من « أنه قوى شديد البطش ، يضرب الآجرّة بيده فتصير فلقاً ، ويضرب الجوزة

(١) أي يرفعه ويدفعه

(٢) معجم الأدباء (٢ : ٢١ طبعة مرجليوث = ١٨ : ٢١٧ — طبعة رفاعى)

(٣) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء (٢ : ٦٨)

(٤) الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلانى ١ : ٤٨٣

(٥) الدرر الكامنة ١ : ٤١٧

(٦) الدرر الكامنة ٣ : ٢٦٨

(٧) الدرر الكامنة ٣ : ٢٥٥

يكسرها ... قال أبوه : ودخل اللصوص داره وأخذوا المتاع ، فتركهم حتى خرجوا ومشى خلفهم إلى الصحراء فعقر منهم واحداً وهرب الباقون وتركوا المتاع »[1]

وممن وُهب قوة بالغة واشتهر بأمور من هذا القبيل ، أحمد ابن أبي بكر بن محمد بن محمود الحلبى ، المتوفى سنة ٧٥٤هـ (١٣٥٣م) ، فقد « كان قوىّ اليدين جداً ، حتى كان يأخذ الحية فيحملها بذنبها ويرفعها إلى فوق ويقصفها إلى أسفل ويرميها وقد انقطع وسطها وانخلعت فقرات ظهرها »[2]

ونظيره فى هذا الأمر ، أبو بكر زكيّ الدين الخروبى رئيس التجار بالديار المصرية ، المتوفى سنة ٧٨٧هـ (١٣٨٥م) ، فقد كان أيداً شديد القوى . حكى لنا أنه كان يقبض على الركب الحديد فتنعصر رجل الراكب »[3]

(بغداد) **كوركيس عواد**

(١) تاريخ علماء بغداد المسمى منتخب المختار لابن رافع السلامى انتخبه التقى الفاسى المكى (ص ٨٥ طبع بغداد)

(٢) الدرر الكامنة ١ : ١١٣

(٣) الدرر الكامنة ١ : ٤٥٠

من ميـــــدان الحياة

للأستاذ شكري فيصل

هذه الأماني التي تمتادني اليوم ... ما بالها تزدهر في خاطري من جديد ، وكنت أحسب أنها الفرقة التي لا رجعة وراءها ، والهجر الذي لا لقاء بعده ، والأسباب التي انقطعت فلا سبيل إلى صلتها ؟ وما أنا وهذه الأماني التي تتفتح في أعماق من جديد مع الورد الناشئ ، وتنطلق في عالمي مع الربيع الطلق ، وتتألق في دنياي مع الزهر النيّر ، وكنت حسبتني انصرفت من دنياي الكبرى لأعيش في دنيا الناس الضيقة ، وخرجت من عالمي الفسيح لآتي هذا العالم المتقارب ، وهجرت الأرض الخصبة لبدي كفاي وقدماي بالفأس القاسية والأرض الغليظة

... وما رجعتي إلى رؤاي هذه ؟! ... كانت لي معها ليال أزهى من النور وأوضح من الصبح ... وأيام أنضر من الورد وأحلى من الربيع ... لكأني أذكر الساعة أوديتها الخضر العامرة ، وجنباتها النضر الزاهرة ... وهذه الفضة فيها كالحصى ... وهذا الصليل كالأمواه ... وهذا الذهب المنتشر كأنه أوراق زهر الدراق ... وذلك الزمرد الذي يطرز حواشيها كأنه أعشاب الجنة ... لكأني أثب معها الساعة في تطواف بعيد ، لا أحس له الجهد ، ولا ألقى فيه العناء ، ولا أكاد أمس الأرض إلا المس الهين الرقيق .. فأجوز السهل والجبل ، وأمر بالهضبة والوادي ، وأطوي البيد الفساح ، ويحملني النهر على سرير ناعم من نسماته اللطاف ، ويصوغ لي البحر فلكا طيّعة من أمواجه الخفاف ، وينشر لي الأفق بساطه المسجدي ... أكان الجبل إلا السبيل المذلل المنقاد .. أكانت الصحاري إلا المسالك المذهبة المبسوطة ؟ أكان العالم إلا جنة من السحر الحلال ؟!

تلك ليال وأيام ... ما أمرُّها ، تطرقني مبكرة ، وتسمو إلى هذا السمو الهادئ مع مولد الفجر ... تنشر لعيني الصور ، وتلقي في أذني الأحاديث ، وتفجّر في قلبي الأصم ينابيع متدفقة من الذكريات ... أتراها تريد أن تفسد عليّ حياتي بالنعيم ، وتثير مني عاطفتي بالذكرى ، وتنال من بعضي ببعضي ... أتراها تودّ أن تطلق ظلماتي السود بمشاعلها المتقدة ، وتخفت أنغامي الخرس بأغانيها العذبة ، وتطمس أنفاسي الباردة بأنفاسها المشتعلة ؟

* * *

... وما أنا وهذه المواكب التي تتهادى من أمامي ، وهذه الحسناء التي تنظر إليّ ... لكأني عشت معها دهراً طويلاً ... أذكر ... لقد كان بيني وبينها عهود ! وكان لها في عنقي ذمم ، وكان لي في رقبتها وجائب ... ثم ... ألم تكن من بيننا فرقة ، فتتاركنا على غير شيء ... كأنما لم ترع طفولتي بالهدهدة الناعمة ، ولم ترف على فتوتي ظلالها الهادئة ، ولم تسكب في قلبي خمرها المسكرة ... وكأن لم يكن بين دمشق والقاهرة أنيس ، ولم يسمر في مرابع الجيزة سامر ، ولم تهتف في دمشق هواتف ، ولم تثر في الغوطة أصداء ... فما بالها اليوم : هذه المواكب توحش صمتي السادر بالنشيد ، وتفزع أمني القلق بالسلام ، وتمشي عيني الظلمتين بالجمال ، وتفسد على مقامي الخشن بالموكب اللاهي ؟! ... أتراها تبتليني من جديد بسحرها العابث ؟! تلك مواكب وأغان وأناشيد قد خلت ... فما مثارها عندي اليوم ، ومالي من موكب وأغنية ونشيد ... ؟

وهذه الذكريات التي تغزوني فتلح عليّ وتأخذني من بين يدي وخلفي ... ما أنا وهي وقد استرقني حاضري ، فإذا هو عليّ مطبق لا ينفرج ، ورتق لا ينكشف ، ضيق لا يكاد يتسع لغير هذا الذي أنا فيه ؟ وما أنا فيه إلا الآلة الصماء تغدو مطلع النهار مع الصباح لتعود في صفرة اليوم مع المساء ، وتظل على ذلك تحرك في غير حراك ، وتدور على غير حس ، وتمضي وكأنما تدفعها يد قادرة إلى غير ما أحبت وما كانت تقدر أنها تحب ... ما أنا وهذه الذكريات ، تجد السبيل إلى كهفي العميق ، ثم تتحسسني من بين هؤلاء المساكين الذين قدر لهم أن يعيشوا معي في هذا الكهف . كيف استطاعت أن تجوز هذه الأبواب الحديدية الضخمة ، وأن تفلت من هؤلاء المردة الذين يحرسونها ، وأن تبلغني فتمزق هذا الغشاء الصفيق الذي أسدلت بيني وبينها ؟! ما شأنها ، تملأ على جنبات هذا الكهف ، في يديها البضتين هذه الأعواد الرقيقة المشتعلة ينتشر منها هذا الدخان اللطيف العطر الذي ينفث فيّ روح الماضي . لكأنه هذا البخور الذي

حمـــلة صقلية

الجبهة الثانية . أين ومتى تفتح ؟

هذا هو السؤال الذى تردد على ألسنة الناس فى الأسابيع الأخيرة والذى كان موضع اهتمام العسكريين وبحثهم فى كلا المعسكرين ، وكان فى غزوة الحلفاء لصقلية الجواب على هـذا السؤال . وللمعركة التى تدور رحاها الآن فى هذه الجزيرة أهمية كبرى للطرفين ؛ فالإيطاليون من جهة ، يرون أن غزو هـذه الجزيرة خطر يهدد كيان إيطاليا نفسها ويجعلها الهدف التـالى بعد صقلية ، ويرون أن القرار الحاسم فيما يتعلق بالحرب كلها سيتخذ على سواحل صقلية ؛ وهم واثقون بأن كل قوة للحلفاء ستجد مصرعها على سواحل إيطاليا . أما اهتمام الحلفاء فيتجلى فى النداء الذى وجهه الأميرال كننجهام لجنوده ساعة الغزو : « إن نجاح الحلفاء فى غزو صقلية يعد بمثابة فتح جبهة ثانية كما أنه سيكون الخطوة الأولى فى سبيل هزيمة سريعة للأعداء »

قبيل انتصاف ليل الجمعة التاسع من يوليو أخذت جنود المظلات البريطانية والأمريكية تنهال على أرض الجزيرة وهبطت على أثرهم الجنود الذين كانت تقلهم الطائرات الشراعية وأسرعوا فى الزحف لتعزيز مراكزهم وراء استحكامات المحور لتدمير منشئاته وشل حركة مطاراته حتى يحال بين المدافعين وبين القيام بعمل جوى منظم ضد القوات الكبيرة التى كانت تقلها سفن الغزو

وفى فجر يوم السبت ، أى بعد هبوط قوات المظلات بساعات قليلة ، أخذت السفن المحملة بالجنود والأمداد تقترب من موانى الجزيرة منتشرة فى الاتجاهات التى رسمت لها من قبل .

ولم يكن غزو صقلية بالأمر المفاجىء للمحور فقد صرح الجنرال إيزنهاور منذ أكثر من شهر لمندوبى الصحف بأنه لن يمضى الشهر حتى تكون الأعمال الحربية ضد صقلية قد بدأت ، وكذلك كانت الغارات المنيفة التى ظلت الطائرات المتحالفة تشنها على النقط الحيوية والمواقع الرئيسية فى الجزيرة بمثابة مقدمات لهذا الغزو ، وهو عين ما حدث فى جزيرتى بنتلاريا

عهدته فى ليالى الخاليات . إن سحبه لتتلوى هادئة رفيقة فتبدد كل ما حولى . لا الناس الهزالى الذين أعهدهم ، ولا المتعبون الذين آلفهم ، ولا هذه الأردية السود التى تتحرك إلى جانبى ؛ وإنما هى أطياف حلوة كريمة ، أحس كأنما كان من بينى وبينها سبب ، ومغان رائعة بهيجة كأنما كان لى بها عهد . أتراها تود أن تلفق بسحرها الحائل هذا الواقع المتورد ، وأن تطرد بأطيافها القاتمة هـذه الأشباح الناعمة ، وأن يذهب عطرها الهفاف بالحاضر المتماسك ؟! أتراها تود أن تهدر حياتها الأولى فى حياتى الجديدة لتثير الأمانى والأوهام ؟!

وهذه الأحلام التى تشق عنى ظلمة الليل ... ما أنا وهى ... وقد انفتقت منها وانصرفت عنها . ألست أعمل نهارى المتصل لميتتى الليل ، وأجهد شمسى الطالعة ليواريني المساء ، وأنطلق مع الغراب المبكر كيما أنسى بعد فى العتمة كل شيء . ما شأن هذه الأحلام تراودنى عن نفسى ، فتطرقنى منذ أيام ، وتنتشر فى مسائى الكالح أفقاً وردياً زاهياً ، وتبعث فى ليلى البهيم أضواء زفافة نيرة ، وترسم على غبش العتمة أنوار النجم . أتراها تود أن تؤرقنى فلا أفيق ، وأن تهزنى فلا أغفل ، وأن تستاذنى فلا أجد الهدوء ! ... أتراها تملك أن تفسد على راحتى التى لا حس فيها بالحس الذى لا راحة معه ، واطمئنانى الذى لا شعور فيه بشعور لا اطمئنان معه . وما عساها تبغى منى ، وإنها لتعلم أن الدنيا قد جعلت منى غير الذى عهدت فىّ : لا هزة الطروب ، ولا رفة المرح ، ولا استيفاز الشاعر . فقد ذهبت الحيـاة بالهزة والرفيف والحس المستوفز . وما يكون للذين تضطرهم الحياة أن تذهب بنفوسهم فى سبيل العبء الذى لا بد منه ، والعيش الذى لا مناص من تداركه إلا أن يرتقبوا اليوم القريب والساعة الدانية

* * *

لا يا أمانى التى تزدهر الساعة فى خاطرى ! ما كان لى أن أغفل عن الماضى ، أو أنصرف عن المعهود ، أو أهدر هذه الفترة الحلوة من حياتى القريبة . وإنمـا هى ويلات الحاضر التى لا بد من النجاة منها ، وضرورات الواقع التى لابد من الاضطراب فيها

إن تكاثف السحاب لا يذهب بنور الشمس ، وإن قتام الضباب لا يحول دون إماضة البرق ؛ وإنما يتفتح الشتاء القاسى — بإرادة الله — عن الربيع المتدفق

(دمشق) شكرى فيصل

ولبيدوزا حين سبق احتلال الجزيرتين غارات على مثل هذه الصورة من العنف والشدة

وقد وقع الغزو بعد أقل من أسبوع لبدء الهجوم الذى قام به الألمان فى الجبهة الروسية ، فقد انتظر الحلفاء حتى إذا ضمنوا اشتباك القوات الألمـانية فى معركة الروسيا الطاحنة شنوا هم هجومهم ؛ وبذلك ضيعوا على الألمـان فرصة تقديم مساعداتهم الجدية لإيطاليا فى صقلية

أما مواقع الهجوم فقد اختارها الحلفاء فى جزء كان خبراء المحور يرون أن نزول الحلفاء فيه أبعد احتمالاً من غيره ، فاختاروا الركن الجنوبى الشرقى للجزيرة ، وذلك لأن وعورة أراضيه وكثرة مرتفعاته وقربه من قواعد المحور الجوية فى جنوب إيطاليا تجعل من العسير نزول قوات كبيرة من المشاة والدبابات كما تجعل القوات النازلة أكثر عرضة لضربات العدو الجوية وأقرب منالاً للقوات البرية التى تأتى عن طريق خليج مسينا . لهـذه الأسباب كان نزول الحلفاء فى هذا الجزء غير متوقع

وقد تطور القتال منذ بدء الغزو تطوراً يعتبر فى صالح الحلفاء الذين استولوا على معظم المدن المهمة هناك ولم يبق أمامهم سوى قطانيا حيث تدور بعض المعارك فى السهل الذى يحيط بها . ويرجع عدم وقوع معارك كبيرة حتى الآن إلى أن القيادة الإيطالية فى الجزيرة تراقب الحالة بعين يقظة حتى تقف على المكان الذى يجب أن توجه إليه قواتها الرئيسية

وبديهى أنه حين يفرغ الحلفاء من هذا الركن فسيحاولون الزحف بقواتهم داخل الجزيرة للاستيلاء على المواقع الهامة التى تجعل خليج مسينا فى قبضتهم ، وذلك ليتسنى لهم عزل صقلية عن إيطاليا ووقف سيل الإمدادات التى يوالى المحور إرسالها ، وحينئذ يسهل السيطرة على باقى أجزاء الجزيرة الغربية

وتعتبر صقلية أول ثغرة يحاول الحلفاء فتحها فى القلعـة الأوربية ، وستختبر على هذه الجزيرة قوة استحكامات أوربا الدفاعية ، فإذا نجح الحلفاء فى غزوها فسيتخذون منها نقطة للهجوم على إيطاليا نفسها ، كما أنها ستصبح أعظم قاعدة بحرية للأساطيل المتحالفة فى البحر الأبيض المتوسط

ويظهر للمتتبع لسير الأعمال الحربية أن الحلفاء يحتفظون بقوات احتياطية كبيرة فى شمال أفريقيا حيث تصل إمدادات متوالية من بريطانيا وأميركا

ويمكن التكهن بأن هذه القوات يحتفظ بها لغرضين : أولهما أن القيادة المتحالفة تعمل لمواجهة احتمال قيام المحور بحركة تركيز أو تطويق قد تؤدى إلى الإحداق بقواتهم ، فوجود هذا الاحتياطى يمكن الحلفاء من إفساد أية محاولة فى هذا الصدد

أما الغرض الثانى فينحصر فى الإبقاء على هذا الاحتياطى لاستخدامه فى مهاجمة جزيرتى سردينيا وكرسيكا اللتين سيكونان بلا شك الغرض التالى للحلفاء بعد صقلية ، إذ أن احتلال هاتين الجزيرتين لازم للهجوم المنتظر على ساحل فرنسا الجنوبى

وستؤدى الأعمال الحربية فى جزيرة صقلية والمحاولات التى سيقوم بها الحلفاء للسيطرة عليها وعلى غيرها من الجزر فى البحر الأبيض المتوسط إلى تطورات جديدة سيكون للقوات البحرية منها أوفر نصيب .

محمد شاهين الجوهرى
بكالوريوس صحافى

تينة الجبـــــل!

للأســـتاذ أحمد الصافى النجفى

[... وهذه طرفة ثانية * من طرائف « الصافى » تقدمها للدكتور طه حسين بك . ولعل من الخير أن نذكر أن (الدكتور) ينكر على شعرائنا المحدثين فيما ينكر عليهم انعدام « الوحدة الفنية » فى أكثر منظوماتهم . ولقد فهمنا من محاوراته معنا أن من أظهر خصائص الشاعر الأصيل فى رأيه وضوح المثل الأعلى الذى يدور عليه فلك وحى الشاعر ، واستحضاره فى فترات الخلق والانتاج . وليس هنا محل مناقشة الدكتور فى هذا الرأى ؛ ولكنى أضع يده على هذه الطرفة البارعة التى تمثل مذهبه فى الشعر أصدق تمثيل

و (تينة الجبل) شجرة عجيبة شاذة معروفة فى سورية لا يطيب لها أن تنمو وتستطيل إلا فى جو قاس من العزلة والتوحد والانزواء ، فتراها بعيدة عن مجارى المياه العذبة والأعشاب الندية والطيور المغردة ، فهى تعيش دائماً فى صمت وسكون . ولكن أى فوز تناله يوم عرض الثمار ؟ هذا ما نترك الاجابة عنه لحضرات القراء وهم ينعمون بتلاوة هــذه القصيدة الرمزية البارعة]

القدس — عبد القادر جنيدى

نبتتْ فى الجبال دَوحة تِينٍ   وقفت مثل وقفة الجبـار

أَلِفت وحشة الدجى واستمرَّت   فى صراع مضنٍ مع الإعصار

فهى أخت الثلوج والأمطار   وهى نبت الهَــواء والتزآر

وهى تحيا كراهب فى قفارٍ   دون ديرٍ يضـمه أو دار

وإذا ما هفتْ لنجوى سمير   رنَّ فى سمعها صدى الأدهار

أينما تلتفتْ فليس تلاقى   من سمير لهـا سوى الأحجار

حرمتهـا يد الطبيعة حتى   من غناء الحفيف فى الأسحار

لم تظلّل غصونُهـا ندماء   لا ولم تُسقَ منهم بعقار

وهى لم تستمع لنجوى حبيـ   ـبين وما أعلناه من أسرار

لا ولا أمّها هزارٌ يغنى   فانتشى سمعها بشدْو الهزار

ما وعتْ حين أينعت للعصا   فير سوى لحنْ نقرة المنقار

ما جلتْ جسمها ليوم ازدهاء   أو رأت وجهها بنهر جار

فهى تبدو كأشعث ذى سفار   وهى تحكى فلاّحة فى القفار

أنفت من تمـايل واختيال   وسمتْ عن تجمّل وازدهار

أصبحت لا ترى سوى البرّ حليا   لا ولم تشتمل بغير الوقار

إن تردّى دوح الرياض اخضراراً

فهى لا ترتدى بغـــير الغبار

لم تفاخر بالمجد دوحاً ونالت   قصب السبق يوم عرض الثمار

ولو أنى أتيت للدوح باسمٍ   قلت هذى أميرة الأشجار

فهى بنت الجبـال ذات وقار

وهى بنت الصخور ذات اصـطبار

وهى تسعى للـــبرّ دون ضجيج

وهى تعطى الخيرات دون افتخار

وهى طىّ الخفاء تدأب كدْحاً   مستمراً فى ليلهـــا والنهار

تصهر الشمس رأسها كل صيف

وتلاقى الشـــــتا بجسم عار

قــــد تلقّت حوادث الدهر تترى

دون أن تشتكى من الأقدار

ما الذي ساقهـا لنفع البرايا   دون ما دافع ولا إجبـار

م ذروها إن أطعمتْهم وإلا   قطعوها فعذّبت فى النـار

كم لهـا من يد علينا ولـكن   ما عليها يدٌ لغــير البارى

لم تزل تأكل التراب ولـكن   تطعم الخلق أطيب الأثمار

ليتنا مثلهـا فنعطى جَنانا   لا لنفع يُرجَى ولا استثمار

وأرانى كالدوح شأناً ولـكن

ما جَنَا دوحتى ســـوى الأشعار

ولـكلٍّ فى الكون شأنٌ به خُصّ

وخُصّ الغنــــــاء بالأطيار

أحمد الصافى النجفى

(*) راجع عدد (الرسالة) رقم ٥٢٣.



الوشوشة والتهويم

الكاتب الباحث الأستاذ (سيد قطب) فى مقالته البليغة (النماذج البشرية المهموسة) حوّط (الوشوشة) ـ قد توسطت الهمس والتهويم ـ بالأقواس أو الأهلة ـ كأنهن تحويطة(١) ـ فإن كان قد جاء ذلك لفرط اهتمامه بهذه اللفظة فلا ملام ؛ وإن كانت الأقواس إعلاماً أن الوشوشة من العاميات لا من قبيل المعربيات ولا من بنات المعجمات ففى (النهاية) فى حديث سجود السهود : « فلما انفتل توشوش القوم » وروى القول (اللسان) ؛ وفى (القاموس) : « توشوشوا تحركوا وهمس بعضهم إلى بعض » وفى مستدرك التاج : « الوشوشة الكلام المختلط ، وقيل : الخفى ، وقيل : الكلمة الخفية »

وجاء (التهويم) بعد الوشوشة ، والتهويم ـ كما قالوا ـ : أول النوم ، أو النوم الخفيف ، أو هز الرأس من النعاس . فهل المراد أحد هذه المعانى أو المقصود (الهينمة) أخت الهمس ؟

ناقد

إصلاح التعليم فى مصر

فى اليوم الذى أغادر فيه مصر إلى مدينة الخرطوم بالسودان مقر عملى رأيت أن أقدم تحيتى إلى الرسالة وصاحبها الجليل لما لها من أثر فى الثقافة العامة فى السودان ، ولما للمتأدبين وأهل العلم هناك من عناية فائقة بما تنشر الرسالة من بحوث قيمة وأدب بارع

وبينما كنت أقلب الأوراق استعداداً للسفر وقع نظرى على مقال فى مجلة (الإثنين) فى أواخر مايو الفائت لصاحب المعالى الأستاذ عبد الحميد عبد الحق وزير الأوقاف بعنوان (ثورة على المدرسة المصرية) كان قد نشره قديماً وقال : إنه لا يزال عند رأيه هذا . جاء فيه (والواقع أن موقف المدرس من الطلبة كوقف « سواقى الأنفار » سواء بسواء . يرى أنه أدى واجبه حينما يقطع مقداراً معيناً من الدروس لا حينما يلمح نجاحه فى تربية عدد من الطلبة وتهذيبهم ، فهو بذلك خدم الدروس ، ويستخدم الطلبة للدروس ، ولكنه لا يخدم الطلبة)

وفى الليلة السابقة لكتابة هذه الكلمة خلوت إلى ولد من أولادى كان من تلاميذى فى الفرقة التى كنت أعلمها قبل سفرى إلى السودان فسألته أن يذكر لى بصراحة رأى طلبة الفرقة فى أبيه فقال :

كنت يا أبى توقظ أذهان الطلبة فى أول السنة الدراسية ، وتطيل المناقشة معهم ، وتتوسع فى الأدب العربى ، وتكثر من تنبيههم إلى ما فى أبيات النصوص الأدبية من معان وأغراض ، فيشغلون بدرسك ويقدرونه ، ولكن بعد أن مرت أشهر على ذلك أخذ الشك يساور نفوس الطلبة فى جدوى هذه الطريقة بالنسبة لضخامة المنهج الذى يجب أن يتم قبل نهاية السنة الدراسية بشهر على الأقل ، وكان من قولهم : يجب أن ننبه أستاذنا إلى ما فيه مصلحتنا بأن يقتصر على سرد ما فى الكتاب ، ويسألنا فيه فى اليوم التالى ، وهكذا دواليك حتى يتم المقرر فى حينه ونكون قد استوعبنا ما فى الكتاب ويكتب لنا النجاح فى الامتحان ، وأن نلفت نظره إلى أنه ليس الغرض من تعليمنا أن نكون أساتذة فى اللغة العربية . ولكن قبل أن تصل النصيحة إلى سمعى قبلت التعليم فى السودان ، وكفى الله المؤمنين القتال

هذه صورة مصغرة لميول الطلبة نحو تثقيف عقولهم وبخاصة فى المدارس الثانوية ، فهل لى أن أرجو وزارة المعارف فى ضجة العلاوات والدرجات أن تجهز جيوشها السلمية لإصلاح التعليم ، وتبسيط مناهجه وتحديد الغرض منه ، وأن تغير النظم القديمة البالية فى إدارة المدرسة وواجب المعلم والناظر والمفتش على أساس تكوين الملكات وتهذيب الأخلاق وتربية النفوس على حب العلم والرجولة الحق فى الطلاب الذين تنشدهم مصر الحديثة ليستعدوا لحمل الأعباء المستقبلة . بل أقول إن ذوى المناصب الخطيرة فى وزارة المعارف يجب أن يخرجوا من حيز الأوامر والمنشورات والرأى الواحد المقلد إلى مصابيح تشع النور

(١) التحويطة اسم لما يعلق على الصبى لدفع العين

فى معاهد التعليم ، فكل هذه الجولة والصولة الغرض منها معلم يحسن أثره فى التلاميذ وأن يعالجوا الأمور فى جراءة وصدق وإخلاص وهم أهل لذلك

وألا يختبئوا دائماً وراء الوزير والمستشار ، فإن واجب وزارة المعارف غير واجب الوزارات الأخرى

وأذكر أن فى أدراج صاحب العزة الدكتور طه حسين بك مشروعاً شاملاً لإصلاح التعليم وبخاصة فى اللغة العربية أعدته لجنة برياسته منذ زمن وأرجو أن يبعث من مرقده والله الهادى إلى سواء السبيل .

حسنين حسن مخلوف

من رسائل الرافعي : اللفظان بمعنى واحد في القرآن · معنى بيت للنابغة · قصة الجارية وعمر

أخذ ابن الأثير فى المثل السائر على الصابى — كما بينا — أنه يرادف السجع فى المعنى الواحد ، وعد ذلك من عيوب البلاغة ؛ ولكنه لما سئل عن قول الله : « وكان رسولاً نبياً » والرسول لا يكون إلا نبياً ، رجع فقال : « إن إيراد لفظتين فى آخر إحدى الفقر بمعنى واحد لا بأس به لمكان طلب السجع » ولما كان بعض الذين يدافعون عن بلاغة القرآن يقولون إنه لا توجد فيه لفظة زائدة ، ولا كلمة جاءت بمعنى ما قبلها ، فقد سألت الرافعى رحمه الله — وهو صاحب إعجاز القرآن — أن يذكر رأيه فى هذا الأمر المهم

وسألته أن يبين معنى بيت النابغة :

ولست بمستبق أخاً لا تلمه على شعث أى الرجال المهذب

وكان حافظ إبراهيم قد ذكر فى عمريته قصة الجارية التى كانت تضرب الدف أمام النبي وأبى بكر بغير خوف ولا وجل . فلما جاء عمر ألقت دفها وجلست ، فقال له النبي : إن شيطانها قد فر منك يا عمر . وذلك حيث يقول فى هذه العمرية :

قد فر شيطانها لما رأى عمراً إن الشياطين تخشى بأس مخزيها

فسألت الرافعي عن هذه القصة التى تنبئ أن الشيطان يفر من عمر ولا يفر من النبي فتلقيت منه هذا الجواب :

طنطا فى ٢٠ فبراير سنة ١٩١٨

أيها الأخ

بعد السلام ، سرنى من كتابكم أنى أرى لكم شيئاً من التحقيق ودقة الفكر لم أكن أعهدها من قبل ، فإذا واصلت العمل والجد واستعملت ذهنك رجوت لك أكثر من هذا ورجوت لك مظهراً إن شاء الله

أما ذكر الرسول والنبي معاً فى الآيتين فأقرب ما يظن من الحكمة فى ذلك أنه تأكيد لشرف الموصوف واختصاص له بالذكر لصفات مميزة ، ولهذا جاءت العبارة معطوفة على صفة سابقة « وكان مخلصاً وكان رسولاً نبياً » . « كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً » . وقد كان يتوجه الانتقاد وحقيقته لو لم يكن هذا التنوين فى لفظ رسول ، ولكن التنوين أضعف معنى الكلمة . والمراد من السياق أن يكون المعنى قوياً بالغاً فى الوصف فوجب أن يُدل على كمال الموصوف بكمال المعنى ؛ وليس فى مذاهب التعبير عن هذا الكمال أدل ولا أبين من لفظ النبي فجاء به نكرة كذلك وترك العطف فيه ليعلم أن المقصود هو إتمام المعنى لأن لفظ الرسول متضمن معنى النبوة ، فذكر النبوة بعده على الوجه الذى فى الآية يدل على أن المراد التوكيد فى الصفة . ومن المعلوم أن التكرار يفيد التوكيد وله موضع معين فى البلاغة . لو ترك فيها لخرجت العبارة ضعيفة أو ناقصة . لو كان لفظ الآية (وكان رسولاً من الرسل) أو (وكان الرسول النبي) أو (وكان رسولاً ونبيـاً) لسقطت العبارة عن درجة الإعجاز ، ولجاز انتقادها ؛ ولكن هذا التنوين فى هذا السياق هو الحكمة كلها . ولزيادة الإيضاح نضرب مثلاً : لو قلت عن رجل عظيم كالشيخ محمد عبده مثلاً إنه كان فاضلاً وكان فيلسوفاً فأى شيء يفيده هذا الوصف إلا أن الرجل كان كأحد الرجال الممتازين ؛ ولكن لو قلت كان فاضلاً وكان فيلسوفاً حكيماً شعر السامع فى نفسه وشعر القائل أيضاً أنه كان رجلاً ممتازاً كاملاً لأن العبارة جاءت من التكرار الذى فيها على وجه من الكمال يفيد التوكيد ، فكأن غيره من الفلاسفة يعبَّر عنه بلفظتين ، وأما هو فيعبر عنه بثلاث تصويراً لكماله فى نفسه وامتيازه عن سواه ، مع أن لفظ الفيلسوف يقتضى معنى الحكيم . ولا يمكن أن تكون لفظة النبي جاءت فى الآية

للسجع لأنها وإن وافقت ذلك ، ولكنها تكررت فى الآية الأخرى ومع ذلك لم يعبها تكرارها لأن سياق الوصف اقتضاها ، وما اقتضاه السياق فهو طبيعى ، لأنه من بنية الكلام ، بخلاف ما إذا سجع الكاتب فجاء بكلمة لا يراد منها إلا السجع ، وبعد سطر أو سطرين كرر السجعة نفسها لغرض السجع أيضاً فإنها تجىء أبرد كلام وأسخفه . هذا ما يحضرنى وكنت راجعت أمس الكشاف للزمخشرى وتفسير الطبرى الكبير فلم أجد لأحدهما كلاماً فى هذا المعنى ، وأظن أن الفخر الرازى ربما تكلم فيها ، وتفسيره عند فضيلة الوالد مع تفاسير أخرى كثيرة ، ولكنى لم أراجع لأن دماغى يتعب سريعاً ، ولأنى أرى أن ما ذكرته هو الحقيقة(١)

وأما بيت النابغة (ولست بمستبق أخاً الخ) فضبطه لا تَلُمُّه . ومعناه أن الصاحب إذا تفرقت أخلاقه فجاء بالحسنة والسيئة ثم أردت ألا تلم أخلاقه على تفرقها وتجمعه كما هو بل ذهبت تنتقى الحسنة فقط فإنه لا يبقى لك لأن كل إنسان يأتى منه الخير والشر ، فلا بد من احتمال هذا وهذا من الصديق إذا أردت أن يبقى صديقاً

وأما العمرية فإن حافظاً نظم وتصرف فى عبارة التاريخ فجاء بعض كلامه موهماً معانى غير صحيحة . والقصة التى أشار إليها يمكن أن يؤخذ منها كما هى فى نظمه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يسمع الغناء ويشهد الرقص النسائى . وكان أضعف فى الدين من عمر ، وكان وكان الخ : ولكن القصة فى نفسها لا تفيد شيئاً من هذا كله . فالرواية أن جارية سوداء جاءت النبى صلى الله عليه وسلم لما انصرف من بعض مغازيه فقالت : إنى كنت نذرت إن ردك الله سالماً أن أضرب بين يديك بالدف . قال : إن كنت نذرت فاضربى وإلا فلا . فجعلت تضرب ، ثم دخل أبو بكر ثم على ثم عثمان وهى تضرب . فلما دخل عمر ألقت الدف وجلست عليه . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : إن الشيطان ليخاف منك يا عمر . فلم يفر الشيطان ولكنه خاف أو كأنه خاف . ولا يخفى أن اللهو من الشيطان ؛ فهى عبارة مجازية . وأنت ترى أنها جارية سوداء ، وأنها لم تفعل شيئاً إلا الضرب بالدف . وكان هذا من عادات سائر العرب إذا انقلب أبطالهن من الغزو ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم لم يرخص للجارية إلا لتوفى نذرها لا غير . فأى شىء فى هذا كله ؟

وبالجملة فإن حافظاً إنما نظم تاريخاً موضوعاً وكان خليقاً به أن يضع تاريخاً جديداً كما يكتب رجل مثل كارليل فى كتاب الأبطال أو نحو ذلك

أما الكلام فى باقى القصيدة فليس من شأنى أن أخوض فيه . ولعل السيد البرقوق يكفيك إذا وفى بما وعد قراءه والسلام عليكم ورحمة الله . الداعى

مصطفى

(المنصورة) محمود أبو ريه

(١) لعلنا نجد من أحد شيوخ الدين ما يزيدنا فى هذا الأمر العظيم بياناً . (أبو رية)

نقرة نحوية

جاء فى قصيدة الشاعر محمود حسن اسماعيل (قطرة دمع) المنشورة بالرسالة الغراء « العدد ٥٢٢ » هذا البيت

جئتُ أرثيك فما لى (ملجمٌ) تزهق الأنغام فى عودى إذا ما

مضبوطة فيه (ملجمٌ) بالرفع والمفهوم أنها وأمثالها فى هذا الموضع منصوبة على الحالية من الضمير المجرور باللام

يشهد لذلك قول فاطمة بنت طريف ترثى أخاها

أيا شجر الخابور مالك (مورقا) كأنك لم تجزع على ابن طريف

وقول المرحوم حافظ ابراهيم وهو يرثى الإمام الأستاذ محمد عبده :

عليك سلام الله ، مالك (موحشاً)

عبوسَ المغانى مُقفِر العرصات

وقد انتظرنا فى العدد التالى أن يصلح الشاعر هذا الضبط فلم يفعل فصار من حقنا أن ننبه على ذلك

(الاسكندرية) حسين محمود البشبيشى

تصويب

وقع خطأ مطبعى فى أحد أبيات قصيدة « اليتيم » ، للآنسة فدوى طوقان انكسر من أجله البيت وصوابه :

فنضت عنها الثياب السود ، لا ، لا تظنوا جرحهـا الدامى التأم

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)